تم تحميل هذا الملف من موقع المناهج البحرينية

الملف مجموعة قصصية لطلاب الصف الخامس للفصلين الأول والثاني

موقع المناهج ⇦ الصف الخامس ⇦ لغة عربية ⇦ الفصل الأول

روابط مواقع التواصل الاجتماعي بحسب الصف الخامس

روابط مواد الصف الخامس على تلغرام

التربية الاسلامية	اللغة العربية	اللغة الانجليزية	الرياضيات

المزيد من الملفات بحسب الصف الخامس والمادة لغة عربية في الفصل الأول

1	مذكرة والإجابات النموذجية
2	مذكرة شاملة مع شرح القصائد
3	مذكرة مراجعة مع شرح وتحليل قصيدة حدتي
4	شرح قصيدة حدتي
5	شرح وتحليل قصيدة حدتي

الحَديقَةُ الغَنّاءُ

مجموعةٌ قصصيّةٌ لطلبة الصّفّ الخامس
للفصلين: الأوّل والثّاني

تأليف

منير الهور	علي البتيري	أحمد الكواملة
يوسف البري	نضال البزم	هاني الغاوي
فداء الزمر	ريّا الدباس	دينا علاء الدين

النّاشر
وزارة التّربية والتّعليم
إدارة المناهج والكتب المدرسيّة

يسر إدارة المناهج والكتب المدرسية استقبال آرائكم وملحوظاتكم على هذا الكتاب عن طريق العناوين الآتية:

هاتف: ٩ - ٥ / ٤٦١٧٣٠٤ ، فاكس: ٤٦٣٧٥٦٩ ، ص. ب: (١٩٣٠) ، الرمز البريدي: ١١١١٨

أو على البريد الإلكتروني: Alanguage.Division@moe.gov.jo

قرّرت وزارة التّربية والتّعليم تدريس هذه المجموعة القصصيّة في مدارس المملكة الأردنيّة الهاشميّة جميعها،
بناءً على قرار مجلس التّربية والتّعليم رقم (٢٠١٦/٧٩) تاريخ ٢٠١٦/٨/٨م؛
بدءًا من العام الدّراسيّ ٢٠١٦م/٢٠١٧م.

حقوق الطّبع جميعها محفوظة لوزارة التّربية والتّعليم
ص. ب (١٩٣٠) عمّان - الأردنّ

التّحرير العلميّ : د. عماد زاهي نعامنة

التّحرير الفنيّ : نداء أبو شنب

الرّسم : فايزة حداد، إبراهيم شاكر، خلدون أبو طالب

التّصميم : عائد سمّور

الإنتاج : علي محمد العويدات

دقّق الطّباعة : د. عماد زاهي نعامنة

راجعها : د. أسامة كامل جرادات

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(٢٠١٦/٨/٣٩٦٦)
ISBN 978-9957-84-759-3

الطّبعة الأولى ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

أعيدَتْ طباعَتُهُ ٢٠١٧م - ٢٠١٨م

قائمةُ المحتوياتِ

اسمُ القِصَّةِ	الصّفحةُ
الفصلُ الدِّراسيُّ الأَوَّلُ	
الْأَرْضُ مَحَبَّةٌ وَعَطاءٌ	٤
الصّداقةُ بَسْمَةٌ وَأَملٌ	٨
الصِّحَّةُ تاجٌ	١٢
الحَديقَةُ الغَنّاءُ	١٦
رَدُّ الْجَميلِ	٢١
الفصلُ الدِّراسيُّ الثّاني	
سُنْبُلَةُ عَزَّةَ	٢٧
فَرْحَةُ التَّفَوُّقِ	٣٢
مَوَدَّةٌ وَحَنانٌ	٣٦
عِشْقُ الوَطنِ	٤٠
ثَمَرَةُ النِّظامِ	٤٦

الْأَرْضُ مَحَبَّةٌ وَعَطاءٌ

بَعْدَ أَنْ أَنْهى أَشْرَفُ دِراسَتَهُ في الْقَرْيَةِ، وَحَصَلَ عَلى عَلاماتٍ جَيِّدَةٍ، بَدَأَ اسْتِعْدادَهُ لِلانْتِقالِ إِلى مَدْرَسَةِ الْمَدينَةِ؛ لِإِتْمامِ دِراسَتِهِ الثّانَوِيَّةِ. وَلِتأْمينِ تَكاليفِ الدِّراسَةِ في الْمَدينَةِ ساعَدَ أَشْرَفُ والِدَهُ في الْعُطْلَةِ الصَّيْفِيَّةِ عَلى زِراعَةِ الْخُضارِ، وَكانَ يُرافِقُهُ إِلى الْمَدينَةِ لِبَيْعِها، وَيَسْتَفيدُ مِنْ زِيارَةِ الْمَدينَةِ في التَّعَرُّفِ أَكْثَرَ إِلى الْمَكانِ الَّذي سَيَنْتَقِلُ إِلَيْهِ مَعَ بِدايَةِ الْعامِ الدِّراسِيِّ.

أُعْجِبَ والِدُ أَشْرَفَ بِحُبِّ ابنِهِ الْأَرْضَ وَحِرْصِهِ على اسْتِثْمارِها، فَشَجَّعَهُ على ذلك، وَأَوْصاهُ بالاسْتِمْرارِ على الاهتِمامِ بِها؛ فَهِيَ كالأُمِّ الحَنونِ، تُعْطي مَنْ يُعطيها وتُغْدِقُ الخَيْرَ عَلى كُلِّ مَنْ يُقَدِّرُ قيمتَها، فتبادِلُهُ العَطاءَ بِعَطاءٍ مُضاعَفٍ.

نجَحَ أَشْرَفُ في امتحانِ الثّانويَّةِ العَامَّةِ، ولكنَّ مُعَدَّلَهُ لم يؤَهِّلْهُ للالتِحاقِ بِكُلِيّةِ الزِّراعَةِ، فالتَحَقَ بِكُلِيّةِ الاقتصادِ، وعَزَمَ على تَنْظيمِ أوقاتِهِ، والتَّوفيق بينَ دراسَتِهِ الجامِعِيَّةِ، وعَمَلِهِ في أَرْضِهِ.

مَرَّتِ الْأَيّامُ وَزادَتْ خِبْراتُ أَشْرَفَ، وَوَسَّعَ مِساحَةَ أَرْضِهِ الْمَزْروعَةَ، وَانْتَسَبَ إِلى الْجَمْعِيَّةِ الزِّراعِيَّةِ في الْقَرْيَةِ، وَأَضافَ أَصْنافًا جَديدَةً مِنَ الْأَشْجارِ الْمُثْمِرَةِ، وَالْمَحاصيلِ

الْمُناسِبَةِ لِطَبيعَةِ الْأَرْضِ، وَاسْتَخْدَمَ الْأَسْمِدَةَ، وَصارَتْ مَزْرَعَتُهُ تُنْتِجُ أَصْنافًا مُتَمَيِّزَةً مِنَ الثِّمارِ، فَذاعَ صيتُها في الْمَنْطِقَةِ، وَتَسابَقَ التُّجّارُ عَلى شِراءِ مَحاصيلِها.

أَعْلَنَتِ الْجَمْعِيَّةُ الزِّراعِيَّةُ عَنْ إِقامَةِ مُسابَقَةٍ لِاخْتِيارِ أَفْضَلِ الْمَزارِعِ الْمُثْمِرَةِ في الْمِنْطَقَةِ؛ لِتَشْجيعِ الفَلّاحينَ عَلى زِراعَةِ أَراضيهِمْ، وَإِنْتاجِ الْمَزيدِ مِنَ الْمَحاصيلِ. وَرُصِدَتْ ثَلاثُ جَوائِزَ نَقْديَّةٍ لِأَفْضَلِ ثَلاثِ مَزارِعَ، وَشُكِّلَتْ لَجْنَةٌ مِنَ الْخُبَراءِ لِزِيارَةِ الْمِنْطَقَةِ، وَتَحْديدِ الْمَزارِعِ الْفائِزَةِ، وَكانَتْ مَزْرَعَةُ أَشْرَفَ مِنْ بَيْنِ الْمَزارِعِ الْمُشارِكَةِ في الْمُسابَقَةِ.

وَصَلَتْ لَجْنَةُ الْمُسابَقَةِ إِلى مَزْرَعَةِ أَشْرَفَ، فَاسْتَقْبَلَها بِوَجْهِهِ الْباسِمِ، وَحَديثِهِ الطَّيِّبِ، وَتَجَوَّلَ مَعَها في أَرْجاءِ أَرْضِهِ الْواسِعَةِ. أُعْجِبَتِ اللَّجْنَةُ بِما رَأَتْ: أَرْضٌ واسِعَةٌ تَمْتَدُّ مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ إِلى أَسْفَلِ الْوادي، وَأَشْجارٌ مُتَنَوِّعَةٌ وَمُنَسَّقَةٌ، مُحاطَةٌ بِجِدارٍ حَجَرِيٍّ، يَحْميها مِنَ الرِّياحِ صَفّانِ مِنَ الْأَشْجارِ الْحَرَجِيَّةِ. وَبِإِجْماعِ أَعْضاءِ اللَّجْنَةِ، اخْتيرَتْ مَزْرَعَةُ أَشْرَفَ لِلْجائِزَةِ الْأولى، كَما أَوْصَتِ اللَّجْنَةُ بِتَخْصيصِ جائِزَةٍ لِأَفْضَلِ مُزارِعٍ، تُعْطى لِأَشْرَفَ لِنَشاطِهِ وَاجْتِهادِهِ.

وَصَلَ أَشْرَفُ وَوَالِدَهُ مُبكِّرَيْنِ إلى مَكانِ الاِحْتِفالِ لِتَوْزيعِ الْجَوائِزِ، وَبَعْدَ اكْتِمالِ حُضورِ الْمَسْؤولينَ وَالْمُرَشَّحينَ، بَدَأَ الاِحْتِفالُ، وَنودِيَ أَشْرَفُ لِيَسْتَلِمَ الْجائِزَةَ الْأولى، ثُمَّ أَعْلَنَ عَريفُ الْحَفْلِ اخْتيارَ أَشْرَفَ لِجائِزَةِ أَفْضَلِ مُزارِعٍ في الْمِنْطَقَةِ.

فَرِحَ أَشْرَفُ بِإِنْجازِهِ فَرَحًا شَديدًا وَقالَ: كانَ وَالِدي مُحِقًّا حينَ كانَ يقولُ لي: الْأَرْضُ هِيَ الْأُمُّ الْحَنونُ كُلَّما خَدَمْتَها ضاعَفَتْ لَكَ الْعَطاءَ. سَأَلَ راعي الاِحْتِفالِ: وَكَيْفَ ذلِكَ يا أَشْرَفُ؟ أَجابَ أَشْرَفُ: أَنْتَ تَرى أَنَّ أَرْضي قَدْ كافَأَتْني هذا الْعامَ مَرَّتَيْنِ: في الْمَرَّةِ الْأولى مَنَحَتْني مَحْصولًا وَفيرًا، وَفازَتْ بِجائِزَةِ أَفْضَلِ مَزْرَعَةٍ، وَفي الْمَرَّةِ الثّانِيَةِ فُزْتُ أنا بِجائِزَةِ أَفْضَلِ مُزارِعٍ.

صافَحَ راعي الاِحْتِفالِ أَشْرَفَ وَقالَ لَهُ: كانَ والِدُكَ مُحِقًّا، وَأَنْتَ تَسْتَحِقُّ كُلَّ ما حَصَلْتَ عَلَيْهِ بِجَدارَةٍ.

ازْدادَ تَمَسُّكُ أَشْرَفَ بالأَرْضِ، وازْدادَ عِشْقُهُ لها، وبَعْدَ إتْمامِهِ دراسَتَهُ الجامِعِيَّةَ وتَخَرُّجِهِ في كُلِّيَّةِ الاقتصادِ، تَفَرَّغَ لِلْعَمَلِ في الأَرْضِ وطَوَّرها، فزادَ إنتاجُها، وباتَ أَشْرَفُ مثالًا للشّابِّ المثابِرِ النَّشيطِ.

الصَّداقةُ بَسْمَةٌ وَأَمَلٌ

دَخَلَ الْمُدَرِّبُ النّادِيَ الرِّياضِيَّ، فَوَقَفَ الْمُتَدَرِّبونَ الصِّغارُ احْتِرامًا لَهُ. وَقَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ التَّدْريبَ رَفَعَ خالِدٌ يَدَهُ طالِبًا الْإِذْنَ بِالتَّحَدُّثِ وَقالَ: أُريدُ أَنْ أَشْتَكِيَ زَميلي فِراسًا، لَقَدْ أَزْعَجَني الْيَوْمَ في مِزاحِهِ، وَحينَ طَلَبْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَكُفَّ عَنْ ذلِكَ زادَ مِزاحَهُ.

سَأَلَ الْمُدَرِّبُ بَقِيَّةَ الزُّمَلاءِ عَنْ تَفاصيلِ ما دارَ بَيْنَ فِراسٍ وَخالِدٍ، ثُمَّ قالَ: لَقَدْ أَخْطَأْتَ يا فِراسُ، كانَ عَلَيْكَ احْتِرامُ رَغْبَةِ زَميلِكَ وَالتَّوَقُّفُ عَنِ الْمِزاحِ حينَما طَلَبَ إِلَيْكَ ذلِكَ، هَيّا اعْتَذِرْ إِلَيْهِ. صَمَتَ فِراسٌ بُرْهَةً، ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلى خالِدٍ. وَبَعْدَ يَوْمٍ حافِلٍ بِالتَّدْريبِ وَاللَّياقَةِ اسْتَعَدَّ الْمُتَدَرِّبونَ الصِّغارُ لِلْمُغادَرَةِ.

في الطَّريقِ لَحِقَ فِراسٌ زَميلَهُ خالِدًا يَسْتَفِزُّهُ مِنْ جَديدٍ، وَبَدَأَ يَتَشاجَرُ مَعَهُ فَتَجَمَّعَ الزُّمَلاءُ لِيُصْلِحا بَيْنَهُما، ثُمَّ أَخَذَ فِراسٌ يُنادي خالِدًا بِلَقَبٍ غَيْرِ لائِقٍ، ما حَدا بِرَجُلٍ كانَ يَمُرُّ بِالْقُرْبِ مِنْهُما أَنْ يَقولَ لَهُ:

لا يَجوزُ يا عَزيزي أَنْ تَتَلَفَّظَ بِهذِهِ الْعِباراتِ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ تَعالى:

﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾. [سورة الحجرات، آية ١١]

أَمّا خالِدٌ؛ فَتابَعَ طَريقَهُ إِلى الْمَنْزِلِ يُرافِقُهُ زَميلُهُ مَأْمونٌ الَّذي قالَ لَهُ: كانَ بِإِمْكانِكَ أَنْ تَرُدَّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ ما فَعَلَ.

قالَ خالِدٌ: يا صَديقي، لَقَدْ نَشَأْتُ على الْأَخْلاقِ الْحَميدَةِ، وَلَوْ فَعَلْتُ ما تَقولُ لَفَقَدْتُ احْتِرامَ النّاسِ، وَمِنَ الشَّجاعَةِ اكْتِسابُ احْتِرامِ الْآخَرينَ لا بُغْضُهُمْ.

في الْيَوْمِ التّالي غابَ فِراسٌ عَنِ النّادي، فَظَنَّ الْجَميعُ أَنَّهُ غابَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَشْتَكِيَهُ خالِدٌ ويُعرِّضَهُ لِلْإِحْراجِ مِنْ قِبَلِ الْمُدَرِّبِ أَمامَ الْجَميعِ، وَتَكَرّرَ غِيابُهُ ثَلاثَةَ أَيّامٍ مُتَتالِيَةٍ. وَحينَ سَأَلَ الْمُدَرِّبُ زُمَلاءَهُ عَنْهُ رَدّوا بِأَنَّهُم لا يَعْرِفونَ السَّبَبَ، فَقَرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ بِنَفْسِهِ إِلى بَيْتِ فِراسٍ؛ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْهِ. في الْمَساءِ ذَهَبَ الْمُدَرِّبُ، لكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا في الْمَنْزِلِ، فَتَوَجَّهَ إِلى الْبَقّالَةِ الْقَريبَةِ، وَسَأَلَ صاحِبَها عَنْ فِراسٍ، فَقالَ الْبَقّالُ: بَيْنَما كانَ يَلْعَبُ مَعَ أَخيهِ بِالكُرَةِ سقَطَ أَرضًا فَكُسِرَتْ ساقُه، فَاصْطَحَبَهُ أَبوهُ إِلى الْمُسْتَشْفى. شَكَرَ الْمُدَرِّبُ صاحِبَ الْبَقّالَةِ وَعادَ أَدْراجَهُ.

وَقَفَ الْمُدَرِّبُ صَباحًا في الصّالَةِ الرِّياضِيَّةِ وَقالَ: يا أَعِزّائي، إِنَّ زَميلَكُمْ فِراسًا يَرْقُدُ في الْمُسْتَشْفى بِسَبَبِ كَسْرٍ في ساقِهِ، وَسَوْفَ نَذْهَبُ لِزِيارَتِهِ. فَمَنْ يَرْغَبُ

مِنْكُمْ في مُشارَكَتِنا الزِّيارَةَ؟

رَفَعَ عاصِمٌ يَدَهُ وَقالَ: سَوْفَ أُسَجِّلُ أَسْماءَ الزُّمَلاءِ الرّاغِبينَ بالمُشارَكَةِ، وَسَوْفَ نَشْتَري هَدِيَّةً تُدْخِلُ السُّرورَ في قَلْبِ فِراسٍ.

قالَ الْمُدَرِّبُ: هذِهِ فِكْرَةٌ جَميلَةٌ، أَحْسَنْتَ يا عاصِمُ. وَأَبْدى مُعْظَمُ الزُّمَلاءِ رَغْبَتَهُمْ في الزِّيارَةِ، ثُمَّ قالَ عاصِمٌ مُوَجِّهًا كَلامَهُ إِلى خالِدٍ:

هَلْ سَتَذْهَبُ مَعَنا يا خالِدُ، أَمْ ما زِلْتَ غاضِبًا مِنْ فِراسٍ؟

رَدَّ خالِدٌ: لا بَأْسَ، سَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكُمْ.

بَعْدَ أَيّامٍ ذَهَبوا جَميعًا لِزِيارَةِ فِراسٍ للاطْمِئنانِ على صِحَّتِهِ وتَهْنِئتِهِ بالسَّلامَةِ. كانَتْ فَرْحَةُ فِراسٍ كَبيرَةً وَهُوَ يَراهُمْ قَدْ جاؤوا لِيَطْمَئِنّوا عَلَيْهِ، فَنَظَرَ إِلى زَميلِهِ خالِدٍ قائِلًا: هَلْ لَكَ أَنْ تُسامِحَني عَلى ما فَعَلْتُهُ مَعَكَ؟

قالَ خالِدٌ: نَعَمْ، أُسامِحُكَ يا فِراسُ، عَلى أَنْ تَعِدَني بِلُطْفِ المُعامَلَةِ وَاحْتِرامِ الْجَميعِ.

قالَ فِراسٌ: لَقَدْ عَرَفْتُ الْآنَ أَنَّ (الْمُهَذَّبَ) يَكْسِبُ احْتِرامَ النّاسِ وَمَحَبَّتَهُمْ. أَرْجوكُمْ سامِحوني.

الصِّحَّةُ تاجٌ

في نِهايَةِ الصَّيفِ تَلَبَّدَتِ السَّماءُ بِالْغُيومِ، وَهَطَلَتْ أَمْطارٌ غَزيرَةٌ، فَتَشَكَّلَتِ السُّيولُ وَامْتَلأَتِ الْأَوْدِيَةُ بِالْمِياهِ. بَعْدَ تَوَقُّفِ الْأَمْطارِ انْدَفَعَ الْأَطْفالُ يَلْعَبونَ فَرِحينَ بِالجوِّ الجميلِ.

عادَ عادِلٌ إِلى بَيْتِهِ يُحَدِّثُ أُمَّهُ عَنْ أَحْداثِ الْيَوْمِ الْجَميلِ الَّذي أَمْضاهُ في الْوادي مَعَ الْكَثيرِ مِنْ أَطْفالِ الْقَرْيَةِ، وَحَدَّثَها عَنْ راعي الْأَغْنامِ الَّذي انْتَظَرَ حَتّى الْمَساءِ؛ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ عُبورِ الْوادي مَعَ أَغْنامِهِ بِسَبَبِ ارْتِفاعِ مُسْتَوى الْمِياهِ.

بَعْدَ طَعامِ الْعَشاءِ، ذَهَبَ عادِلٌ إِلى فِراشِهِ، في حين ذَهَبَ الْأَبُ وَالْأُمُّ لِزِيارَةِ بَيْتِ الْجَدَّةِ الْقَريبِ. بَعْدَ عَوْدَتِها ذَهَبَتِ الْأُمُّ تَتَفَقَّدُ عادِلًا فَوَجَدَتْهُ مُسْتَيْقِظًا وَيَشْعُرُ بِبَرْدٍ شديدٍ، تَحَسَّسَتْ رَأْسَهُ وَجِسْمَهُ فَأَحَسَّتْ بِارْتِفاعِ حَرارَتِهِ، أَسْرَعَتْ إِلى والِدِهِ تُبْلِغُهُ الْأَمْرَ، وَلِتَرى ماذا سَيَفْعَلانِ في هذا الْوَقْتِ الْمُتَأَخِّرِ مِنَ اللَّيْلِ في قَرْيَتِهِمُ الْبَعيدَةِ عَنِ الْمَدينَةِ.

اسْتَيْقَظَ الْجيرانُ عَلى جَلَبَةِ الْأُسْرَةِ، وَتَوَجَّهوا إِلى الْبَيْتِ يَسْتَطْلِعونَ الْأَمْرَ، وَمَعَهُمْ جَدَّةُ عادِلٍ، كانَتِ الْجَدَّةُ على دِرايَةٍ بِالتَّداوي بِأَعْشابٍ تَجْمَعُها مِنَ

الْحُقولِ وَالْجِبالِ، وَتَحْتَفِظُ بِها في مَنْزِلِها لِاسْتِعْمالِها عِنْدَ الْحاجَةِ.

احْتَضَنَتِ الْجَدَّةُ حَفيدَها عادِلًا، وَتَلَمَّسَتْ رَأْسَهُ وَوَجْهَهُ، وَنَظَرَتْ في عَيْنَيْهِ وَفَمِهِ، وَقالَتْ لِوالِدَتِهِ: لا تَقْلقي. يَبْدو أَنَّ عادِلًا قَدْ لَعِبَ بِمِياهِ الْأَمْطارِ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَطْفالِ، فَأُصيبَ بِالْبَرْدِ، سَأُحْضِرُ لَهُ مَغْلِيَّ الْجَعْدَةِ، وَسُرْعانَ ما يَخِفُّ أَلَمُهُ، رَيْثَما يُنْقَلُ إِلى الطَّبيبِ المُخْتَصِّ في الصَّباحِ.

ذَهَبَتِ الْجَدَّةُ إِلى بَيْتِها، وَعادَتْ بَعْدَ قَليلٍ تَحْمِلُ كَأْسًا مَليئًا بِسائِلٍ أَصْفَرِ اللَّوْنِ، ثُمَّ أَجْلَسَتْ حَفيدَها في حِضْنِها وَسَقَتْهُ مِنْ ذلِكَ السّائِلِ، قالَتْ لِوالِدَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَعودَ إِلى بَيْتِها: بَلِّلي قِطعَةَ قُماشٍ بِالْماءِ، وَضَعيها على رَأْسِهِ كُلَّما ارْتَفَعَتْ حَرارَتُهُ.

في صَباحِ الْيَوْمِ التّالي، ذَهَبَ الْأَبُ مَعَ عادِلٍ إِلى طَبيبِ الْمَدينَةِ، شَرَحَ الْوالِدُ لِلطَّبيبِ ما حَدَثَ أَمْسِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْجَدَّةَ سَقَتْهُ مِنْ مَغْلِيِّ الْجَعْدَةِ. فَحَصَ الطَّبيبُ عادِلًا: بَطْنَهُ وَفَمَهُ وَعَيْنَيْهِ، ثُمَّ قاسَ حَرارَةَ جَسْمِهِ وَضَغْطَ دَمِهِ، وَقالَ: يَبْدو أَنَّ مِياهَ الْأَمْطارِ في الْوادي كانَتْ مُلَوَّثَةً، فَسَبَّبَتْ لِعادِلٍ هذِهِ الْحُمّى. عُشْبَةُ الجَعْدَةِ كانَتْ مُفيدَةً، لكِنَّها لَيْسَتْ كافِيَةً لِلْقَضاءِ عَلى جَراثيمِ الْمَرَضِ.

وَصَفَ له الطَّبيبُ الْعِلاجَ اللّازِمَ، وَطَلَبَ إليهِ مُراجَعَتَهُ بَعْدَ أُسْبُوعٍ؛ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ شِفاءِ عادِلٍ. شَكَرَ الْوالِدُ الطَّبيبَ عَلى جُهودِهِ، وَعادَ مَعَ عَادِلٍ إِلى الْقَرْيَةِ، بَعْدَ أَنِ اشْتَرى هَدِيَّةً لِلْجَدَّةِ الْحَكيمَةِ الَّتي هَنَّأَتْهُم بِسلامَةِ حَفيدِها.

الحَديقَةُ الغَنّاءُ

أَرْسَلَتِ الْأُمُّ ابْنَتَها سارَةَ إِلى الْبَقّالَةِ الْقَريبَةِ لِشراءِ بَعْضِ الْخُضارِ، وَأَعْطَتْها قَائِمَةً بِالْخُضارِ الْمَطْلوبَةِ وَمَبْلَغًا مِنَ النُّقودِ، وَأَوْصَتْها أَنْ تَعودَ بِسُرْعَةٍ. عادَتْ سارَةُ مِنْ دونِ أَنْ تَشْتَرِيَ شَيْئًا، وَقالَتْ لِأُمِّها: أَسْعارُ الْخُضارِ مُرْتَفِعَةٌ، وَالنُّقودُ لا تَكْفي.

فَقالَتِ الْأُمُّ: ما رأيكِ في طريقةٍ تُؤَدِّي إلى خَفْضِ نَفَقاتِ الْبَيْتِ؟ قالَتِ الْأُمُّ لابْنَتِها وَلَمْ تَتَنَبَّهْ لِعَوْدَةِ وَلَدِها رَأْفَت الْمُبَكِّرَةِ مِنَ الْعَمَلِ، فَسَأَلَ وَالِدَتَهُ: ما الْمُشْكِلَهُ يا أُمّي؟ أَراكِ مَشْغولَةً بِالْحَديثِ مَعَ سارَةَ وَلَمْ تَتَنَبَّهي لِدُخولي الْبَيْتَ، هَلْ أَنْتِ مُنْزَعِجَةٌ مِنْ شَيْءٍ؟ أَجابَتِ الْأُمُّ: لا يا وَلَدي لَسْتَ مُنْزَعِجَةً مِنْ شَيْءٍ، لكِنَّها الْأَسْعارُ الْمُرْتَفِعَةُ هذِهِ الْأَيّامَ بِخاصَّةٍ أَسْعارُ الْخُضارِ وَالْفَواكِهِ.

ضَحِكَ رَأْفَت وَقالَ: لا تَتَعَجَّبي يا أُمّي، فَنَحْنُ في بِدايَةِ الْمَوْسِمِ الزِّراعِيِّ، وَكَمِّيّاتُ الْخُضارِ في الْأَسْواقِ قَليلَةٌ، وَطَبيعِيٌّ أَنْ تَكونَ الْأَسْعارُ مُرْتَفِعَةً. تَعالَيْ نَجْلِسْ وَنَشْرَبِ الْقَهوةَ وَأَدُلَّكِ عَلى فِكْرَةٍ تَجْعَلُكِ تَأْكُلينَ الْخُضارَ، وَتُعْطينَ مِنْها الْجيرانَ أَيْضًا. قالَتِ الْأُمُّ: أَجادٌّ أَنتَ يا رَأْفَت؟ كَيْفَ لي أَنْ أُؤَمِّنَ حاجَةَ البيتِ؛ وَأُوزِّعَ الفائِضَ على الْجيرانِ؟

قالَ رَأْفَت: أَنا جادٌّ في ما أَقولُ. سَوْفَ نَزْرَعُ الْبَندورَةَ وَالْخِيارَ وَالْبَقْدونِسَ وَالنَّعْنَعَ وَكُلَّ ما نَحْتاجُ إليهِ. قالَتِ الْأُمُّ: وَأَيْنَ نَزْرَعُ يا رَأْفَت؟ وَالزِّراعَةُ تَحْتاجُ إِلى أَرْضٍ؟ قالَ رَأْفَت: الْأَرْضُ مَوْجودَةٌ يا أُمّي، لَقَدْ قَرَأْتُ الْيَوْمَ عَنْ تَجْرِبَةٍ ناجِحَةٍ لِلزِّراعَةِ عَلى سَطْحِ الْمَنْزِلِ، وَأَنْتِ تَعْرِفينَ أَنَّ سَطْحَ بَيْتِنا كَبيرٌ وَواسِعٌ، وَيُمْكِنُ الِاسْتِفادَةُ مِنْهُ في تَنْفيذِ الْفِكْرَةِ. وَكُلُّ ما نَحْتاجُ إِلَيْهِ أَحْواضٌ بلاسْتيكِيَّةٌ نَضَعُها عَلى السَّطْحِ وَنَمْلَؤُها بِالتُّرابِ، وَنَزْرَعُها بِأَشْتالِ الْخُضارِ الْمَطْلوبَةِ، ثُمَّ تَتَولّى سارَةُ الْعِنايَةَ بِها وَرَيِّها، وَما هِيَ إِلّا أَسابيعُ حَتّى نَحْصُلَ عَلى الْخُضارِ الَّتي نُريدُ.

فَكَّرَتِ الْأُمُّ قَليلًا وَقالَتْ: ما دامَتِ الْفِكْرَةُ ناجِحَةً وَمُجَرَّبَةً كَما تَقولُ، سَوْفَ نُجَرِّبُ نَحْنُ أَيْضًا، وَلَنْ نَخْسَرَ شَيْئًا؟ قالَ رَأْفَت: بَعْدَ الْغَداءِ سَأَذْهَبُ إِلى السّوقِ، وَأَشْتَري الْأَحْواضَ الْبلاسْتيكِيَّةَ الْمُناسِبَةَ، وَأُحْضِرُ أَشْتالَ الْخُضارِ الْمَطْلوبَةَ، وَنَبْدَأُ الْعَمَلَ غَدًا صَباحًا، فَغَدًا يَوْمُ عُطْلَةٍ وَالْجَميعُ يُشارِكُ في الْعَمَلِ.

بَدَأَ رَأْفَت الْعَمَلَ مُبَكِّرًا، فَرَتَّبَ الْأَحْواضَ الْبلاسْتيكِيَّةَ عَلى السَّطْحِ، في ما انْشَغَلَ والِداهُ وأُختُهُ في مَلْءِ الْأَحْواضِ بِالتُّرابِ وتَجْهيزِها لِلزِّراعَةِ، بَعْدَها غَرَسَ الْأَبُ

أَشْتالَ الْبَنَدورَةِ وَالْباذِنْجانِ وَالنَّعْنَعِ، وَخَصَّصَ أَحَدَ الْأَحْواضِ لِبُذورِ الْبَقْدونِسِ، ثُمَّ أَضافَ السَّمادَ وَقالَ: كُلُّ شَيْءٍ الْآنَ جاهِزٌ، هَيّا يا سارَةُ رُشّي الْماءَ عَلى الْأَشْتالِ، وَعَليكِ رَيُّ الْأَحْواضِ كُلَّ ثَلاثَةِ أَيّامٍ.

مَرَّتِ الْأَيّامُ وَنَمَتْ أَوْراقُ الْبَقْدونِسِ، وَكَبِرَتْ أَشْتالُ الْبَنَدورَةِ وَالْباذِنْجانِ وَغَيرِها من الخُضارِ، وَبَدَأَتْ أَزْهارُها في الظُّهورِ وَسَطَ دَهْشَةِ الْأُمِّ وَفَرْحَتِها، ثُمَّ قالَتْ لِرَأْفَت وَهِيَ تُراقِبُ سارَةَ تَرُشُّ الْماءَ عَلى الْأَحْواضِ: فِكْرَتُكَ رائِعةٌ يا رَأْفَت، ها هِيَ حَبّاتُ الْبَنَدورَةِ تَكْبُرُ وَسَوْفَ نَقْطِفُ ثِمارَها خِلالَ أُسْبوعٍ. ضَحِكَتْ سارَةُ وَقالَتْ: أَصْبَحَتْ خُضارُنا حَديثَ الْجيرانِ الَّذينَ يُريدونَ زِيارَتَنا غَدًا لِشُرْبِ الْقَهْوَةِ بَيْنَ الْأَحْواضِ.

رَحَّبَتِ الْأُمُّ بِزِيارَةِ الْجيرانِ، وَقالَ رَأْفَت: سَتَكونُ فُرْصَةً لِتَشْجيعِهِمْ عَلى زِراعَةِ سُطوحِ مَنازِلِهِمْ، وَسَوْفَ نُقَدِّمُ لَهُمُ الْمُساعَدَةَ. جَلَسَتِ الْأُمُّ وَابْنَتُها سارَةُ وَالْجاراتُ بَيْنَ الْأَحْواضِ الْمُزْدانَةِ بِأَصْنافِ الخُضارِ اليانِعَةِ، قالَتِ الْجارَةُ أُمُّ قُصَيّ: أَصْبَحَ سَطْحُكُمْ حَديقَةً خَضْراءَ جَميلَةً. وَقالَتْ أُمُّ وَسَن: وَثِمارُ الْبَنَدورَةِ وَالْباذِنْجانِ

تَلْمَعُ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ. وَقالَتْ أُمُّ رَشادٍ: نُريدُ أنْ تُساعِدونا على الزِّراعَةِ على سُطوحِ مَنازِلِنا.

قالَتْ أُمُّ رَأْفَت: فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ يا جاراتي، سَوْفَ نَزْرَعُ بَعْضَ ما نَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنْ خُضارٍ، فَسُطوحُ الْمَنازِلِ وَاسِعَةٌ، قالَتْ أُمُّ رَشادٍ: وَيُمْكِنُنا أَنْ نَتَبادَلَ ما نُنْتِجُهُ مِنْ خُضارٍ. قالَتْ سارَةٌ ضاحِكَةً: وَتَشْرَبونَ الْقَهْوَةَ كُلَّ يَوْمٍ في حَديقَةٍ جَديدَةٍ وسطَ سُطوحٍ تختالُ جمالًا وبهاءً، بعْد أَنْ أَصْبَحْنا أُسَرًا مُنْتِجَةً فاعِلَةً. ضَحِكَ الْجَميعُ، وَاتَّفَقوا عَلى بَدْءِ الْعَمَلِ صَباحَ الْجُمُعَةِ الْقادِمَةِ.

رَدُّ الْجَميلِ

لاحَظَ الْأُسْتاذُ سامي خِلالَ جَوْلاتِهِ بَيْنَ الطَّلَبَةِ في أَثْناءِ الْفُرْصَةِ أَنَّ الطّالِبَ عِصامًا يَجْلِسُ بَعيدًا في السّاحَةِ وَلا يَحْمِلُ بِيَدِهِ شَيْئًا يَأْكُلُهُ أَوْ يَشْرَبُهُ مِثْلَ بَقِيَّةِ الطَّلَبَةِ. تَكَرَّرَ الْمَشْهَدُ عَلى مَدى أَيّامٍ. ما دَعا الْأُسْتاذَ سامي لِلْبَحْثِ وَالسُّؤالِ عَنْ ظُروفِهِ، فَعَرَفَ أَنَّهُ طالِبٌ فَقيرٌ، يَعيشُ مَعَ أُمِّهِ وَإِخْوَتِهِ في بَيْتٍ مُتَواضِعٍ بَعْدَ أَنْ تُوُفِّيَ أَبوهُ.

كانَ لِلْأُسْتاذِ سامي ابْنٌ في الْمَدْرَسَةِ نَفْسِها اسْمُهُ يَحْيى، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلى عِصامٍ وَيُحادِثَهُ في أَثْناءِ الْفُرْصَةِ، وَأَنْ يَشْتَرِيَ لَهُ مِنْ مَقْصِفِ الْمَدْرَسَةِ ما يَشْتَري لِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ قامَ بِمُضاعَفَةِ مَصْروفِهِ.

في الْبِدايَةِ لَمْ يَقْبَلْ عِصامٌ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ يَحْيى شَيْئًا، وَلكِنْ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحا صَديقَيْنِ لَمْ يُمانِعْ في قَبولِ ما يَشْتَريهِ لَهُ. لاحَظَ الْأُسْتاذُ سامي أَنَّ عِصامًا بَدَأَ يَتَغَيَّرُ نَحْوَ الْأَحْسَنِ، فَأَصْبَحَ يَلْعَبُ مَعَ زُمَلائِهِ في السّاحَةِ، كَما أَنَّ تَحْصيلَهُ وَتَفاعُلَهُ الصَّفِّيَّ أَصْبَحا أَفْضَلَ مِنَ السّابِقِ. وَقَدْ لاحَظَتْ أُمُّ عِصامٍ هِيَ الْأُخْرى تَغَيُّرًا في تَصَرُّفاتِهِ نَحْوَ الأَفضلِ، فَسَأَلَتْهُ عَنِ السَّبَبِ، وَلَمّا أَخْبَرَها عَرَفَتْ أَنَّ الْأُسْتاذَ سامي هُوَ الَّذي تَطَوَّعَ لِفِعْلِ الْخَيْرِ مَعَ ابْنِها.

لَمْ يَكْتَفِ الْأُسْتاذُ سامي بِما فَعَلَهُ مَعَ عِصامٍ، وَلكِنَّهُ سَعى لِإيجادِ فُرْصَةِ عَمَلٍ لِأُمِّهِ. وَبِفَضْلِ هذا الْعَمَلِ تَحَسَّنَ وَضْعُ الْأُسْرَةِ الْمَعيشِيُّ.

شَعَرَتْ أُمُّ عِصامٍ بِالسَّعادَةِ وَالسُّرورِ، وَاسْتَطاعَتْ بِفَضْلِ مُساعَدَةِ الْأُسْتاذِ سامي وَزَوْجَتِهِ أَنْ تَتَغَلَّبَ عَلى صُعوبَةِ الْحَياةِ، وَقامَتْ بِتَرْبِيَةِ أَبْنائِها تَرْبِيَةً حَسَنَةً.

مَضَتِ السّنواتُ وتزَوَّجَ كلٌّ من عصامٍ ويحيى. وكانَ ليحيى وَلَدٌ اسمُهُ إدريسُ وَهُوَ طالبٌ في الجامعةِ. وفي يومٍ أَبْلَغَهُ رَئيسُ قِسْمِ البعثاتِ أَنَّ طَلَبَهُ لِلْحُصولِ عَلى مِنْحَةٍ دِراسِيَّةٍ قَدْ رُفِضَ؛ لِأَنَّ مُعَدَّلَهُ يَقِلُّ بِمِقْدارِ ثَلاثَةِ أَعْشارٍ عَنِ الْمُعَدَّلِ الْمَقْبولِ لِلْمِنْحَةِ. ماذا سَيَفْعَلُ الْآنَ؟ إِنَّ أَباهُ لا يَسْتَطيعُ دَفْعَ رُسومِ الْجامِعَةِ، فَهُوَ لا يَكادُ يَسْتَطيعُ تَأْمينَ تَكاليفِ دِراسَةِ أَخيهِ الْأَكْبَرِ وَتَكاليفِ الْحَياةِ الْكَثيرَةِ بِراتِبِهِ الْمَحْدودِ، وَهذا يَعْني أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ يُساعِدُ بِهِ أَباهُ، وَأَنْ يَنْتَظِرَ تَخَرُّجَ أَخيهِ في الْجامِعَةِ، لَعَلَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَطيعُ إِكْمالَ دِراسَتِهِ الجامِعِيَّةِ، وَدِراسَةَ عِلْمِ الْفيزياءِ الَّذي طالَما أَحَبَّهُ وَتَمَنّى دِراسَتَهُ.

عَلى مائِدَةِ الْغَداءِ في مَطْعَمِ الْجامِعَةِ قالَ الْأُسْتاذُ عَبْدُ اللهِ مُحَدِّثًا زُمَلاءَهُ مِنْ

أَساتِذَةِ الْجامِعَةِ: لَقَدْ شَعَرْتُ الْيَوْمَ بِالحُزْنِ عَلى أَحَدِ الطَّلَبَةِ، فَقَدْ أَخْبَرْتُهُ أَنَّ طَلَبَهُ لِلْحُصولِ عَلى مِنْحَةٍ مَرْفوضٌ؛ لِأَنَّ مُعَدَّلَهُ يَقِلُّ ثَلاثَةَ أَعْشارٍ عَمّا هُوَ مَطْلوبٌ؛ وَيا لَلْأَسَفِ فَإِنّي لا أَسْتَطيعُ مُساعَدَتَهُ.

بادَرَ الْأُسْتاذُ عِصامٌ أُسْتاذُ التّاريخِ في الْجامِعَةِ إِلى سُؤالِ الْأُسْتاذِ عَبْدِ اللهِ:

هَلْ تَتَذَكَّرُ اسْمَهُ يا أُسْتاذُ عَبْدُ اللهِ؟

– أَظُنُّ أَنَّ اسْمَهُ إِدْريس يَحْيى سامي.

وَما إِنْ نَطَقَ الْأُسْتاذُ عَبْدُ اللهِ بِالِاسْمِ حَتّى سَأَلَهُ الْأُسْتاذُ عِصامٌ بِشَوْقٍ واضِحٍ:

هَلْ لَدَيْكَ عُنْوانُهُ أَوْ رَقْمُ هاتِفِهِ؟

الْأُسْتاذُ عَبْدُ اللهِ: نَعَمْ، إِنَّ عُنْوانَهُ وَرَقْمَ هاتِفِهِ مَكتوبانِ في طَلَبِ الْمِنْحَةِ. ثُمَّ أَضافَ: هَلْ تَعْرِفُهُ يا أُسْتاذُ عِصامٌ؟

الْأُسْتاذُ عِصامٌ: أَنا لا أَعْرِفُهُ، وَلكِنّي أَعْرِفُ أَباهُ وَجَدَّهُ، فَأَبوهُ يَحْيى كانَ زَميلي في الْمَدْرَسَةِ، وَجَدُّهُ الْأُسْتاذُ سامي كانَ مُعَلِّمًا لي.

في الْيَوْمِ التّالي رَنَّ هاتِفُ إِدْريسَ، نَظَرَ إِلى الشّاشَةِ فَلَمْ يَظْهَرْ اسْمٌ، وَإِنَّما رَقْمٌ فَقَطْ،

قالَ المُتَّصِلُ:

هَلْ أَنْتَ إِدْريسُ؟

نَعَمْ، أَنا إِدْريسُ. وَقَبْلَ أَنْ يَسْأَلَ مَنِ الْمُتَّصِلُ بادَرَ الْمُتَّصِلُ بِالْقَوْلِ:

أَنا الْأُسْتاذُ عِصامٌ، أُسْتاذُ التّاريخِ في الْجامِعَةِ، وَأَنا صَديقُ أَبيكَ وَزَميلُهُ في الْمَدْرَسَةِ. ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ أَبيهِ وَعَنْ أَحْوالِهِ، وَطَلَبَ أَنْ يُزَوِّدَهُ بِرَقْمِ هاتِفِ أَبيهِ.

في مَساءِ ذلِكَ الْيَوْمِ كانَ الْأُسْتاذُ عِصامٌ ضَيْفًا في مَنْزِلِ يَحْيى صَديقِهِ الْقَديمِ، كانَ لِقاءً دافِئًا مَليئًا بِالشَّوْقِ وَالْمَحَبَّةِ بَعْدَ غِيابٍ دامَ سِنينَ طَويلَةً، اسْتَذْكَرا خِلالَهُ أَيّامَ الْمَدْرَسَةِ الْجَميلَةَ، وَتَعَرَّفَ كُلٌّ مِنْهُما إِلى أَحْوالِ صَديقِهِ وَما واجَهَهُ في مَسيرَةِ حَياتِهِ. وَكانَ أَهَمُّ ما دارَ بَيْنَهُما مِنْ حَديثٍ هُوَ قَوْلُ الْأُسْتاذِ عِصامٍ لِصَديقِهِ يَحْيى:

لَقَدْ عَلِمْتُ أَمْسِ أَنَّ طَلَبَ إِدْريسَ لِلْحُصولِ عَلى مِنْحَةٍ مِنَ الْجامِعَةِ قَدْ رُفِضَ، وَلكِنْ لا تَقْلَقْ يا أَبا إِدْريسَ، فَجَميعُ تَكاليفِ دِراسَةِ إِدْريسَ في الْجامِعَةِ سَأَقومُ بِدَفْعِها حَتّى يَتَخَرَّجَ بِإِذْنِ اللهِ.

امْتَلَأَتْ عَيْنا يَحْيى بِدُموعِ الْفَرَحِ، وَكَذلِكَ كانَ حالُ ابْنِهِ إِدْريسَ، فَحُلْمُهُ

سَيَتَحَقَّقُ بِإِذْنِ اللهِ، بَعْدَ أَنْ كانَ بِالْأَمْسِ بَعيدَ الْمَنالِ.

شَكَرَ يَحْيى صَديقَهُ الْأُسْتاذَ عِصامًا عَلى كَرَمِهِ وَشَهامَتِهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ قائِلًا:

كَرَمُكَ وَكَرَمُ والِدِكَ أُسْتاذي وَمُعَلِّمي الْأُسْتاذِ سامي أَسْبَقُ مِنْ كَرَمي، فَأَنْتُما اللَّذانِ عَلَّمْتُماني الْكَرَمَ وَساعَدْتُماني، وَأَنا لَنْ أَنْسى ذلِكَ لَكُما طَوالَ عُمْري.

سُنْبُلَةُ عَزَّةَ

عَزَّةُ طِفْلَةٌ نَشيطَةٌ تُحِبُّ اللَّعِبَ، في كُلِّ يَوْمٍ كانَتْ تَخْرُجُ لِتَلْعَبَ في باحَةِ بَيْتِها مَعَ الْعَصافيرِ، وَبَعْدَها تَبْدَأُ بِالرَّسْمِ عَلى الرِّمالِ بِقَشَّةٍ صَغيرَةٍ، تَرْسُمُ بَيْتًا، وَتَرْسُمُ بَحْرًا تَعْلو أَمْواجُهُ الرَّمْلِيَّةُ، ثُمَّ تَقِفُ وَتَأْخُذُ نَفَسًا عَميقًا وَهِيَ تَرْفَعُ رَأْسَها إِلى السَّماءِ، والرِّياحُ تُحَرِّكُ جَدائِلَ شَعْرِها الْأَسْوَدِ.

عَزَّةُ الْيَوْمَ في غايَةِ السَّعادَةِ، فَالْيَوْمَ مَوْعِدُ زِيارَتِها بَيْتَ جَدِّها مَعَ أُمِّها وَأَبيها. كانَتْ عَزَّةُ تُحِبُّ جَدَّها كَثيرًا، وَتُحِبُّ حَقْلَهُ وَبَقَراتِهِ، كانَتْ تَقْضي أَجْمَلَ أَوْقاتِها وَهِيَ تَرْكُضُ خَلْفَ الفَراشاتِ. تَبَسَّمَتْ عَزَّةُ ثُمَّ قالَتْ في نَفْسِها: تُرى ما الْمُفاجَأَةُ الَّتي يُخَبِّئُها لي جَدّي في الزِّيارَةِ؟ وما هِيَ إِلّا لَحَظاتٌ حَتّى سَمِعَتْ عَزَّةُ أُمَّها تَقولُ: هَلْ أَنْتِ جاهِزَةٌ يا صَغيرَتي؟ أَجابَتْها بِسَعادَةٍ: بِالطَّبْعِ يا أُمّي، أَنا جاهِزَةٌ مُنْذُ الصَّباحِ الْباكِرِ. تَقَدَّمَتِ الْأُمُّ نَحْوَ صَغيرَتِها وَقالَتْ: أَما زِلْتِ تَلْعَبينَ بِالرِّمالِ؟ ضَحِكَتْ عَزَّةُ بِلُطْفٍ، ثُمَّ ابْتَسَمَتِ الْأُمُّ وَقالَتْ: عَلَيْكِ أَنْ تَغْسِلي يَدَيْكِ جَيِّدًا، وَتُنَظِّفي أَكْمامَ فُسْتانِكِ مِنْ هذِهِ الرِّمالِ بِسُرْعَةٍ، فَقَدْ حانَ الْوَقْتُ لِنَذْهَبَ إِلى زِيارَةِ جَدِّكِ. قالَتْ عَزَّةُ: حاضِرٌ يا أُمّي، سَأَكونُ جاهِزَةً خِلالَ دَقائِقَ، فَأَنا مُتَشَوِّقَةٌ جِدًّا لِمَعْرِفَةِ الْمُفاجَأَةِ

الَّتي يُخَبِّئُها جَدّي.

حينَ اقْتَرَبَتْ عَزَّةُ مِنْ بَيْتِ جَدِّها رَكَضَتْ مُسْرِعَةً وَهِيَ تَقولُ: أَنا ذاهِبَةٌ إِلى جَدّي، فَأَنا أَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ في الْبَيْتِ الْآنَ، وَأَعْرِفُ أَيْنَ أَجِدُهُ. ضَحِكَ الْوالِدانِ ثُمَّ لَوَّحَتْ عَزَّةُ بِيَدِها الصَّغيرَةِ وَقالَتْ: إِلى اللِّقاءِ يا أَبي، إِلى اللِّقاءِ يا أُمّي، سَأَعودُ مَعَ جَدّي لِنَتَناوَلَ مَعَكُمْ طَعامَ الْغَداءِ.

قَبْلَ أَنْ تَصِلَ عَزَّةُ إِلى الْحَقْلِ الَّذي كانَتْ مُتَأَكِّدَةً مِنْ أَنَّ جَدَّها يَقْضي مُعْظَمَ أَوْقاتِهِ فيهِ، أَخَذَتْ تُنادي وَتَقْفِزُ عالِيًا:"جَدّي، لَقَدْ وَصَلْتُ يا جَدّي"، أَطَلَّ الْجَدُّ وَأَخَذَ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ قائِلًا: أَهْلًا بِكِ يا عَزَّةُ، أَهْلًا بِالْفَراشَةِ النَّشيطَةِ، تَعالَيْ إِلى هُنا يا صَغيرَتي. حَلَّقَتْ عَزَّةُ كَأَنَّها تَطيرُ وَعانَقَتْ جَدَّها، ثُمَّ قالَتْ: أَنا مُشْتاقَةٌ جِدًّا لَكَ يا جَدّي، وَمُشْتاقَةٌ أَكْثَرَ لِمَعْرِفَةِ الْمُفاجَأَةِ الَّتي حَدَّثْتَني عَنْها في الْمَرَّةِ السّابِقَةِ ، لَكِنْ يَبْدو عَلَيْكَ التَّعَبُ وَالْإِرْهاقُ! وَالْعَرَقُ يَتَساقَطُ مِنْ جَبينِكَ بِغَزارَةٍ وَكَأَنَّهُ الْمَطَرُ! ضَحِكَ الْجَدُّ مِنْ كَلامِ حَفيدَتِهِ ثُمَّ قالَ: أَحْسَنْتِ يا صَغيرَتي هذا تَعْبيرٌ رائِعٌ، مَعَكِ حَقٌّ، هذا الْعَرَقُ يُشْبِهُ الْمَطَرَ، وَهُوَ نَتيجَةُ الْعَمَلِ بِجِدٍّ مُنْذُ الصَّباحِ، لَكِنَّهُ لا يُغْني

عَنْ مَطَرِ صَديقاتِكِ الْغَيْماتِ حَتّى يَنْمُوَ زَرْعُنا وَيَخْضَرَّ، قالَتْ عَزَّةُ: أَنْتَ تَعْمَلُ مُنْذُ الصَّباحِ الْباكِرِ في الْحَقْلِ؟ أَجابَها الْجَدُّ: أَنا أَعْمَلُ حَتّى يُصْبِحَ هذا الْحَقْلُ أَخْضَرَ اللَّوْنِ مَليئًا بِالسَّنابِلِ الْجَميلَةِ، فَالْعَمَلُ عِبادَةٌ وَلَوْلا الْعَمَلُ لَما اسْتَمَرَّتِ الْحَياةُ، وَعَلى كُلِّ واحِدٍ مِنّا أَنْ يُتْقِنَ عَمَلَهُ أَيْضًا مَهْما كانَ صَعْبًا وَشاقًّا. ابْتَسَمَتْ عَزَّةُ في وَجْهِ جَدِّها وَقالَتْ: وَلكِنْ ماذا عَنِ الْمُفاجَأَةِ الَّتي حَدَّثْتَني عَنْها يا جَدّي؟ ضَحِكَ الْجَدُّ مُجَدَّدًا ثُمَّ قالَ: الْمُفاجَأَةُ أَنَّكِ سَوْفَ تُشارِكينَني الْعَمَلَ يا عَزَّةُ، وَتَنْثُرينَ مَعِيَ هذِهِ الْحَبّاتِ وَبَعْدَ أَشْهُرٍ سَوْفَ تُشاهِدينَ أَجْمَلَ سَنابِلِ الْقَمْحِ. فَرِحَتْ عَزَّةُ كَثيرًا وَقالَتْ: ما أَجْمَلَ هذِهِ الْمُفاجَأَةَ! قالَ الْجَدُّ: وَأَنا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ سَنابِلَ الْقَمْحِ سَتُعْجِبُكِ عِنْدَما تَرَيْنَها وَهِيَ تَرْقُصُ مَعَ الرِّياحِ حينَ تَكْبُرُ.

ساعَدَتْ عَزَّةُ جَدَّها وَنَثَرَتْ حَبّاتِ الْقَمْحِ بِفَرَحٍ شَديدٍ، ثُمَّ زَرَعَتْ إِحْدى الْحَبّاتِ في التُّرابِ، وَقالَتْ لَها بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ: أَنْتِ سَوْفَ تَكونينَ سُنْبُلَتي، وَحينَ تَكْبُرينَ سَوْفَ يَكونُ اسْمُكِ سُنْبُلَةَ عَزَّةَ.

ظَلَّتْ عَزَّةُ تُراقِبُ حَبَّةَ الْقَمْحِ الَّتي زَرَعَتْها وَهِيَ تَنْمو في كُلِّ زِيارَةٍ لَها إِلى بَيْتِ

جَدِّها. وَبَعْدَ مُرورِ عِدَّةِ أَشْهُرٍ شاهَدَتْ جَدَّها وَهُوَ يَقِفُ في حَقْلِهِ وَسَطَ السَّنابِلِ الْكَثيرَةِ، ابْتَسَمَتْ وَقالَتْ بِصَوْتٍ عالٍ: أَيْنَ سُنْبُلَةُ عَزَّةَ يا جَدّي؟ أَخَذَ الْجَدُّ يَضْحَكُ بِصَوْتٍ عالٍ، ثُمَّ رَكَضَتْ عَزَّةُ بِاتِّجاهِهِ بِنَشاطٍ وَعانَقَتْهُ وَهِيَ في غايَةِ السَّعادَةِ، وقالَتْ: مَا أَجْمَلَ هَذَا الْحَقْلَ يا جَدِّي! وما أَرْوَعَ هذِهِ السَّنابِلَ!

فَرْحَةُ التَّفَوُّقِ

تَعارَفْنا في الْمَدْرَسَةِ، وَجَمَعَنا الطُّموحُ وَالِاجْتِهادُ، وَتَوَثَّقَتْ بَيْنَنا صَداقَةٌ قَوِيَّةٌ نَحْنُ الْأَرْبَعَة: شادي وَساري وَمُراد وَعَدْنان. كانَ مُرادٌ نَجْمَ الْمَجْموعَةِ لِذَكائِهِ وَخِفَّةِ دَمِهِ، وَعَلى الرَّغْمِ مِنْ إِعاقَتِهِ الْحَرَكِيَّةِ، إِلّا أَنَّه في أَصْعَبِ الظُّروفِ يَقولُ نُكْتَةً تُلَطِّفُ الْجَوَّ، وَتَنْشُرُ الِابْتِسامَةَ عَلى الْوُجوهِ. لَمْ تَمْنَعْنا صَداقَتُنا مِنَ التَّنافُسِ لِلْحُصولِ عَلى أَعْلى الدَّرَجاتِ، كانَ لِلْمُعَلِّمينَ دَوْرٌ كَبيرٌ في تَشْجيعِنا.

تَغَيَّبَ مُرادٌ عَنِ الْمَدْرَسَةِ ذاتَ يَوْمٍ، ظَنَنّا أَنَّ طارِئًا شَغَلَهُ، لكِنَّهُ غابَ في الْيَومِ التّالي أَيْضًا، تَساءَلْنا عَنِ السَّبَبِ، خاصَّةً أَنَّهُ لَمْ يَتَّصِلْ بِنا كَعادَتِهِ عِنْدَما يَتَأَخَّرُ، كَلَّفْنا ساريًا الذَّهابَ إِلى بَيْتِهِ لِلِاطْمِئْنانِ عَلَيْهِ، فَبَيْتُ ساري هُوَ الْأَقْرَبُ إِلى بَيْتِ مُرادٍ.

جاءَ ساري فَتَجَمَّعْنا حَوْلَهُ وَسَأَلْناهُ، فَقالَ: اطْمَئِنّوا، مُرادٌ بِخَيْرٍ، لكِنَّ أخاهُ الَّذي كانَ يتولَّى إيصالَهُ إِلى الْمَدْرَسَةِ لم يَعُدْ يَتمكَّنُ من مرافَقَتِهِ، فقد حَصَل على عَقدِ عَمَلٍ خارِجَ البلادِ؛ ما جعلَ مُرادًا يَمْكُثُ في البيتِ بِضْعةَ أيامٍ رَيْثَما يَتَدَبَّرُ أَمْرَ مُواصَلَتِهِ الْتِحاقَهُ بِالْمَدْرَسَةِ. قالَ عَدْنانُ: وَكَيْفَ سَيَحْضُرُ مُرادٌ إِلى الْمَدْرَسَةِ وَهُوَ لا يَسْتَطيعُ دَفْعَ كُرْسِيِّهِ وَحْدَهُ؟ قالَ ساري: لا بُدَّ مِنْ طَريقَةٍ لِمُساعَدَةِ مُرادٍ.

قالَ شادي: ما رَأْيُكم في أَنْ نَتناوَبُ ثَلاثَتُنا عَلى مُصاحَبَتِهِ ذَهابًا وَإِيابًا إِلى الْمَدْرَسَةِ؟ قالَ عَدْنانُ: لَنْ يَقْبَلَ مُرادٌ ذلِكَ أَبَدًا، فَأَنْتُم تَعْرِفونَ أَنَّهُ لا يُحِبُّ أَنْ يَكونَ عِبْئًا عَلى أَحَدٍ. قالَ ساري: لا بُدَّ مِنْ حَلٍّ؛ فَمَوْعِدُ الِامْتِحاناتِ قَريبٌ. قالَ عَدْنانُ: تَعالَوا نَأْخُذْ رَأْيَ الْمُديرِ، فَقَدْ يَجِدُ حَلًّا؟

رَحَّبَ الْمُديرُ بنا وحيّانا على شُعورِنا النَّبيلِ، وَاسْتَمَعَ إِلى أفكارِنا لِحَلِّ الْمُشْكِلَةِ، وَقالَ: عِنْدي فِكْرَةٌ قَدْ تَكونُ مُناسِبَةً، هيّا بِنا.

ذَهَبْنا إِلى أَحَدِ أَصْدِقاءِ الْمُديرِ، وَهُوَ تاجِرٌ يَبيعُ الْكَراسِيَ الْمُتَحَرِّكَةَ، وَطَلَبَ الْمُديرُ إِلَيْهِ مُساعَدَتَهُ. قالَ التّاجِرُ: وَصَلَتْني دُفْعَةٌ مِنَ الْكَراسي الْمُتَحَرِّكَةِ مُزَوَّدَةٌ بِمُحَرِّكٍ كَهْرَبائِيٍّ، يَسْتَطيعُ مُسْتَخْدِمُها الِانْتِقالَ وَحْدَهُ بِسهولَةٍ ويُسْرٍ. وَيُمْكِنُكُمْ مُخاطَبَةُ إِحْدى الْجَمْعِيّاتِ الْخَيْرِيَّةِ لِتَسْديدِ ثَمَنِ الْكُرْسِيِّ.

بَعْدَ أُسْبوعٍ أَخَذْنا الْكُرْسِيَّ الْكَهْرَبائِيَّ في سَيّارَةِ الْمُديرِ إِلى بَيْتِ مُرادٍ، وَشَرَحَ له الْمُديرُ كَيْفِيَّةَ اسْتِخْدامِ الْكُرْسِيِّ، وَأَعْطاهُ كُتَيِّبًا يَتَضَمَّنُ طريقَةَ صِيانَتِهِ وَشَحْنِ بَطّارِيَّتِهِ. ابْتَسَمَ مُرادٌ وَقالَ لِلْمُديرِ بَعْدَ أَنْ شَكَرَهُ: اطْمَئِنَّ يا أُسْتاذُ، سَوْفَ أَتَدَرَّبُ

عَلَيْهِ جَيِّدًا.

في صَباحِ الْيَوْمِ التّالي، وَصَلَ مُرادٌ إِلى الْمَدْرَسَةِ بِكُرْسِيِّهِ الْجَديدِ وَسَطَ تَرْحيبِ طَلَبَةِ الصَّفِّ الَّذينَ زَوَّدوهُ بِما فاتَهُ مِنْ واجِباتٍ مَدْرَسِيَّةٍ؛ لِيَتَمَكَّنَ مِنْ مُتابَعَةِ الدِّراسَةِ وَالِاسْتِعْدادِ لِلِامْتِحاناتِ.

وَفي نِهايَةِ الْفَصْلِ الدِّراسِيِّ كانَتْ فَرْحَةُ الْجَميعِ كَبيرَةً عِنْدَما نودِيَ عَلى مُرادٍ في احْتِفالٍ مَهيبٍ لِتَكْريمِهِ مَعَ مَجْموعَةٍ مِنَ الطَّلَبَةِ الْمُتَفَوِّقينَ. تَسَلَّمَ مُرادٌ شَهادَتَهُ، ثُمَّ صافَحَنا وَصافَحَ الْمُديرَ، وَلَوَّحَ لَنا بِالشَّهادَةِ قائِلًا: كانَ هذا بِفَضْلِ اللهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ صَداقَتِكُمْ وَتعاوُنِكُمْ، شُكْرًا لَكُمْ جَميعًا.

مَوَدَّةٌ وَحَنانٌ

حَصَلَ أَمْجَدُ عَلى الشَّهادَةِ الْجامِعيَّةِ الْأولى فَأَهْداهُ والِدُهُ سَيّارَةً. كانَتْ سَعادَةُ أَمْجَدَ عَظيمَةً حينَ جَلَسَ خَلْفَ الْمِقْوَدِ، وَقَبْلَ أَنْ يُديرَ الْمُحَرِّكَ قالَتْ لَهُ أُمُّهُ: أَرْجو لَكَ الْخَيْرَ بِقُدومِها يا بُنَيَّ. وَأَرْجو أَنْ تَقودَها بِتَعَقُّلٍ وَرَوِيَّةٍ لِتُحافِظَ عَلى نَفْسِكَ وَعَلى الْآخَرينَ.

قالَ أَمْجدُ: لا تَخافي يا أُمّي فَأَنا ابْنُكِ الْمُطيعُ.

وَبَعْدَ الْغَداءِ أَحْضَرَ الْوالِدُ الْحَلْوى احْتِفاءً بِتَخَرُّجِ أَمْجَدَ، وَقَبْلَ أَنْ يُقَدِّمَها لِأَفْرادِ الْعائِلَةِ قالَتِ الْأُمُّ لِأَمْجَدَ: سَنَأْخُذُ قَليلًا مِنَ الْحَلْوى لِجارَتِنا أُمِّ وَرْد إِنَّها تُحِبُّكَ، وَسَتَفْرَحُ لِنَجاحِكَ.

ذَهَبَتِ الْأُمُّ وَابْنُها إِلى أُمِّ وَرْد وَقَدَّما لَها الْحَلْوى، فَشَكَرَتْهُما عَلى صَنيعِهِما وَبارَكَتْ لَهُما، وَقَبْلَ أَنْ يُغادِرا سَمِعا صَوْتًا في الْمَنْزِلِ الْمُجاورِ.

خَرَجَتْ أُمُّ وَرْد وَتَحَقَّقَتْ مِنَ الصَّوْتِ ثُمَّ عادَتْ وَقالَتْ: إِنَّها جارَتُنا توشِكُ أَنْ تَضَعَ مَوْلودًا، وَلكِنَّها لا تَجِدُ مَنْ يُقِلُّها إِلى الْمُسْتَشْفى.

أَمْجَدُ: أَنَا سَأُوصِلُها، هَيّا يا أُمّي.

وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ في الْمُسْتَشْفى طِفْلًا جَميلا أَسْمَتْهُ أَمْجَدَ، وَفي طَريقِ الْعَوْدَةِ قالَتِ الْأُمُّ:

بارَكَ اللهُ فيكَ يا وَلَدي، هكَذا يَكونُ الْإِنْسانُ مُحِبًّا لِغَيْرِهِ، عَطوفًا عَلى الْآخَرينَ، وَكُلَّما تَنَقَّلَ هذا الْحُبُّ مِنْ شَخْصٍ إِلى آخَرَ عَمَّ التَّكافُلُ وَانْتَشَرَتِ الْمَحَبَّةُ وَالسَّلامُ.

أَمْجَدُ: أَتَمَنّى يا أُمّي أَنْ تَعُمَّ الْمَحَبَّةُ بَيْنَ النّاسِ جَميعًا.

في هذِهِ الْأَثْناءِ كانَ الْوالِدُ وَبَقِيَّةُ أَفْرادِ الْأُسْرَةِ بِانْتِظارِهِما، وَالْقَلَقُ بادٍ عَلَيْهِمْ.

وَلمّا دَخَلا سَأَلَهُما الْوالِدُ: لِماذا تَأَخَّرْتُما؟

رَدَّتِ الْأُمُّ وَأَخْبَرَتْهُ بِما حَدَثَ فَسُرَّ لِما فَعَلاهُ.

وَفي أَحَدِ الْأَيّامِ طَلَبَتِ الْعَمَّةُ إِلى أَمْجَدَ أَنْ يُقِلَّها إِلى إِحْدى دُورِ الْمُسِنّينَ؛ الَّتي تَعَوَّدَتِ الذَّهابَ إِلَيْها لِتَقْديمِ الْحَلْوى إِلى كِبارِ السِّنِّ؛ لِإِدْخالِ الْفَرَحِ وَالسُّرورِ في قُلوبِهِمْ.

أَمْجَدُ: لَنْ أَرْفُضَ طَلَبَكِ يا عَمَّتي، وَأُحِبُّ أَنْ أُرافِقَكِ إِلى الدّارِ.

أُمُّ أَمْجَدَ: وَأَنا سَآتي مَعَكُما.

وَهُناكَ قَدَّموا الْحَلْوى لِنُزَلاءِ الدّارِ، وَكانَ الْفَرَحُ وَالسُّرورُ يَغْمُرانِ الْمَكانَ، اقْتَرَبَ أَمْجَدُ مِنِ امْرَأَةٍ عَجوزٍ وَصافَحَها بِحَرارَةٍ، فَبادَرَتْه قائِلةً: كَمْ أَنْتَ رائِعٌ يا وَلَدي، لَقَدْ عَوَّضَنا اللهُ بِكَ الْيَوْمَ عَنْ أَوْلادِنا.

احْتَضَنَ أَمْجَدُ الْمَرْأَةَ الْعَجوزَ قائِلًا: لَنْ أَتْرُكَكِ يا جَدَّةُ، وَسَوْفَ أُداوِمُ عَلى زِيارَتِكِ، وَإِنْ كُنْتِ في حاجَةٍ إِلى أَيِّ شَيْءٍ فَأَخْبِريني.

شَكَرَتِ الْمَرْأَةُ الْعَجوزُ أَمْجَدَ وَهي مُبْتَسِمَةٌ. وَبِالْمُقابِلِ شَكَرَ مَسْؤولُ الدّارِ أَمْجَدَ وَمَنْ مَعَهُ عَلى حُسْنِ صَنيعِهِم.

كانَ أَمْجَدُ مُتَأَثِّرًا جِدًّا بِما رَأى، وَقَدْ لاحَظَتْ عَمَّتُهُ ذلِكَ فَأَثْنَتْ عَلَيْهِ قائِلَةً:

أَحْمَدُ اللهَ عَلى وُجودِ أَشْخاصٍ مِثْلِكَ يَشْعُرونَ مَعَ الْآخَرينَ، وَيُقَدِّمونَ لَهُمُ الْعَوْنَ وَالْمَحَبَّةَ.

عِشْقُ الوَطنِ

كانَ أَنيسٌ يَسْتَعِدُّ لِلْقِيامِ بِبَعْضِ الْأَعْمالِ التَّطَوُّعِيَّةِ، الَّتي اعْتادَ أَنْ يَقومَ بِها في كُلِّ عامٍ، مَعَ بِدايَةِ الْعُطْلَةِ الصَّيْفِيَّةِ، فَقَرَّرَ أَنْ يَعْرِضَ الْفِكْرَةَ مُجَدَّدًا عَلى صَديقِهِ رَبيعٍ لِلْمُشارَكَةِ مَعَهُ في هذا الْعامِ؛ لِأَنَّ ربيعًا لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ يُشارِكُ بِأَيٍّ مِنَ الْأَعْمالِ التَّطَوُّعِيَّةِ، وكانَ يَقضي مُعْظَمَ أَوْقاتِهِ في اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ.

قالَ أَنيسٌ لِصَديقِهِ رَبيعٍ: ما رَأْيُكَ يا صَديقي أَنْ تُشارِكَني الْقِيامَ بِبَعْضِ الْأَعْمالِ التَّطَوُّعِيَّةِ هذا الْعامَ، حَتّى نُسْهِمَ في خِدْمَةِ الْوَطَنِ، وَنُعَبِّرَ عَنْ حُبِّنا وَانْتِمائِنا لَهُ؟

ضَحِكَ رَبيعٌ وَقالَ: نُعَبِّرُ عَنْ حُبِّنا وَانْتِمائِنا لِلْوَطَنِ بِالْعَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ؟! أَنا أُحِبُّ وَطَني جِدًّا، لكِنّي أَجِدُ أَنَّ اللَّعِبَ أَفْضَلُ طَريقةٍ لِلتَّعْبيرِ عَنْ حُبّي لَهُ، قالَ أَنيسٌ: اللَّعِبُ مُهِمٌّ في حَياةِ الْأَطْفالِ يا صَديقي، لكِنْ عَلَيْنا أَنْ نَكونَ أَكْثَرَ إِحْساسًا بِالْمَسْؤولِيَّةِ، وَأَنْ نُشارِكَ في بَعْضِ الْأَعْمالِ التَّطَوُّعِيَّةِ، كَالْمُساعَدَةِ في غَرْسِ الْأَشْجارِ، أَوْ تَنْظيفِ الْحَدائِقِ الْعامَّةِ، أَوِ الْمُساعَدَةِ في بَعْضِ الْأَعْمالِ الْبَسيطَةِ الَّتي تَتَناسَبُ مَعَ قُدُراتِنا الْبَدَنِيَّةِ، وَالَّتي قَدْ تَحْتاجُ إِلَيْها بَعْضُ الْمَرافِقِ الْعامَّةِ في الْوَطَنِ، وَسَوْفَ

نَجِدُ وَقْتًا كافِيًا لِلَّعِبِ بِالتَّأْكيدِ، لَكِنَّ رَبيعًا لَمْ يُبْدِ أَيَّ اهْتِمامٍ لِكَلامِ صَديقِهِ أَنيسٍ، وَاكْتَفى بِالْقَوْلِ: لَنْ أُشارِكَ بِأَيِّ عَمَلٍ، وَسَوْفَ أَذْهَبُ غَدًا في رِحْلَةٍ لِصَيْدِ السَّمَكِ، أَجابَهُ أَنيسٌ: هذا مُؤْسِفٌ حَقًّا، كُنْتُ أَرْجو أَنْ تَكونَ مَعِيَ وَتُشارِكَني هذا الشُّعورَ الْجَميلَ يا صَديقي الْعَزيزَ.

في الْيَوْمِ التّالي ذَهَبَ رَبيعٌ مَعَ عائِلَتِهِ في رِحْلَةِ صَيْدِ السَّمَكِ، لَكِنَّهُمْ حينَ وَصَلوا إِلى النَّهْرِ، شاهَدوا كَثيرًا مِنَ الْمُهْمَلاتِ الَّتي شَوَّهَتْ جَمالَ الْمَكانِ، فَقَرَّرَ الْأَبُ أَنْ تَقومَ الْعائِلَةُ جَميعُها بِالْمُشارَكَةِ في تَنْظيفِ الْمَكانِ؛ حَتّى يَتَمَكَّنوا مِنَ الْجُلوسِ فيهِ، وَتَناوُلِ طَعامِ الْغَداءِ بَعْدَ مُمارَسَةِ هِوايَتِهِمْ في صَيْدِ السَّمَكِ.

جَلَسَ الْأَبُ وَرَبيعٌ قُرْبَ حافَةِ النَّهْرِ، بَعدَما جَهَّزَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما صِنارَتَهُ، بَيْنَما كانَتِ الْأُمُّ وَأَفْرادُ الْعائِلَةِ يُحَضِّرونَ بَعْضَ الْمُقَبِّلاتِ، الَّتي سَيَتَناوَلونَها مَعَ طَعامِ الْغَداءِ، قالَ الْأَبُ: هِوايَةُ صَيْدِ السَّمَكِ تُعَلِّمُنا الصَّبْرَ وَالتَّحَمُّلَ، وَهِيَ إِحْدى الْهِواياتِ الْمُهِمَّةِ الَّتي تُساعِدُنا عَلى الاسْتِرْخاءِ، أَجابَهُ رَبيعٌ: مَعَكَ حَقٌّ يا أَبي، أَنا أُحِبُّ هذِهِ الْهِوايَةَ جِدًّا وَلا أَمَلُّها، لَكِنْ يَدورُ في فِكْري سُؤالٌ يُثيرُ حَيْرَتي يا أَبي، لِمَ

لا تَهْرُبُ هذِهِ الْأَسْماكُ مِنَ النَّهْرِ، وَتَذْهَبُ إِلى أَيِّ مَكانٍ آخَرَ، فَلا يَصْطادَها أَحَدٌ؟ ضَحِكَ الْأَبُ بِصَوْتٍ عالٍ وَقالَ: هذا سُؤالٌ ذَكِيٌّ يا رَبيعُ، وَفي غايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ، قالَ رَبيعٌ: "حَقًّا يا أَبي؟ أَجابَهُ الْأَبُ: بِالطَّبْعِ يا صَغيري؛ لِأَنَّ السَّبَبَ يَرْتَبِطُ بِنا وَبِكُلِّ المَخْلوقاتِ في هذا الْكَوْنِ الْكَبيرِ.

اسْتَغْرَبَ رَبيعٌ مِنْ كَلامِ أَبيهِ وَقالَ: وَكَيْفَ يَكونُ ذلِكَ يا أَبي؟ أَجابَهُ الْأَبُ: السَّبَبُ هُوَ حُبُّ الْوَطَنِ والانْتِماءُ إِلَيْهِ، دُهِشَ رَبيعٌ حينَ سَمِعَ هذِهِ الْكَلِماتِ، وَتَذَكَّرَ كَلِماتِ صَديقِهِ أَنيسٍ، لكِنَّه أَسْرَعَ بِالْقَوْلِ: وَما عَلاقَةُ حُبِّ الْوَطَنِ والانْتِماءِ إِلَيْهِ بِالسَّمَكِ يا أَبي؟ أَجابَهُ الْأَبُ: لَقَدْ أَوْجَدَ اللهُ تَعالى غَريزَةَ حُبِّ الْوَطَنِ والانْتِماءِ إِلَيْهِ في كُلِّ مَخْلوقاتِهِ مِنَ الْبَشَرِ وَالْحَيْواناتِ وَالنَّباتاتِ، فَالْحَيْواناتُ تُدافِعُ عَنْ مَواطِنِها وَأَماكِنِ عَيْشِها، وَلا تَسْمَحُ بالاعْتِداءِ عَلَيْها، وَهُنالِكَ نَباتاتٌ تُفْرِزُ بَعْضَ السُّمومِ لِتَمْنَعَ النَّباتاتِ الْأُخْرى مِن أَنْ تَنْبُتَ حَوْلَها، حالُها حالُ الْبَشَرِ يُحِبُّونَ أَوْطانَهُمْ، وَيَشْعُرونَ بِالانْتِماءِ إِلَيْها، وَيُقَدِّمونَ أَرْواحَهُمْ مِنْ أَجْلِ حِمايَتِها.

فَجْأَةً شَعَرَ رَبيعٌ بِهَزَّةٍ قَوِيَّةٍ وَسَريعَةٍ في صِنارَتِهِ، كادَتْ أَنْ تُسْقِطَهُ في النَّهْرِ

لَوْلا تَدَخُّلُ أَبيهِ، وَبَعْدَ جُهْدٍ كَبيرٍ تَمَكَّنا مِن رَفْعِ الصِّنارَةِ مِنَ الْماءِ بَعدَما عَلِقَتْ بِها سَمَكَةٌ كَبيرَةٌ وَجَميلَةٌ جِدًّا.

أَخَذَتِ السَّمَكَةُ تَهْتَزُّ بِشَكلٍ سَريعٍ وَقَوِّيٍّ، قالَ رَبيعٌ: انْظُرْ يا أَبي إِلى هذِهِ السَّمَكَةِ ما أَجْمَلَها! أَجابَهُ الْأَبُ: نَعَمْ يا رَبيعُ إِنَّها جَميلَةٌ، وَكَبيرَةٌ وَقَوِيَّةٌ جِدًّا، إِنَّها تُكافِحُ مِنْ أَجْلِ الْحَياةِ، وَقَدْ آثَرَتْ أَنْ تَعْلَقَ بِالصِّنارَةِ عَلى أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْ مَوْطِنِها.

قالَ رَبيعٌ: وَكَيْفَ يَكونُ التَّعبيرُ عَنْ حُبِّ الْوَطَنِ وَالِانْتِماءِ إِلَيْهِ يا أَبي؟ قالَ الْأَبُ: يَكونُ ذلِكَ بِتَعَرُّفِ جَماليّاتِهِ، وَمَعْرِفَةِ تاريخِهِ الْعَريقِ، وَحُبِّ إِنْجازاتِهِ، وَالتَّركيزِ عَلى كُلِّ ما هُوَ إِيجابِيٌّ فيهِ، وَيَكونُ الِانْتِماءُ إِلَيْهِ بِالْحِفاظِ عَلى مُقَدَّراتِهِ وَالسَّعْيِ الْجادِّ لِلرُّقِيِّ بِهِ.

في هذِهِ الْأَثْناءِ، كانَ رَبيعٌ يَتَفَقَّدُ السَّمَكَةَ الَّتي عَلِقَتْ بِصِنارَتِهِ، وَحينَ تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّها ما تَزالُ عَلى قَيْدِ الْحَياةِ أَطْلَقَ سَراحَها، فَقَفَزَتْ بِاتِّجاهِ النَّهْرِ بِسُرْعَةٍ، ثُمَّ قالَ: أَتَعْرِفُ يا أَبي لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْ هذِهِ السَّمَكَةِ سِرَّ حُبِّ الْوَطَنِ وَالِانْتِماءِ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ الْآنَ أَهَمِّيَّةَ الْعَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ الَّذي اعْتَذَرْتُ لِصَديقي أَنيسٍ عَنِ الْمُشارَكَةِ بِهِ، قالَ

الْأَبُ ضاحِكًا وَهُوَ يَضَعُ يَدَهُ عَلى كَتِفِ رَبيعٍ: الْمُهِمُّ أَنْ نَبْدَأَ مِن جَديدٍ، وَنَحْنُ نُدْرِكُ مَعْنى حُبِّ الْوَطَنِ وَالِانْتِماءِ إِلَيْهِ.

في الْيَوْمِ التّالي اسْتَيْقَظَ رَبيعٌ مُبَكِّرًا، وَبَعْدَ أَنْ تَناوَلَ طَعامَ الْإِفْطارِ، تَوَجَّهَ إِلى مَلْعَبِ الْمَدينَةِ، حَيْثُ كانَ صَديقُهُ أَنيسٌ يُنَظِّفُهُ، بِمُساعَدَةِ مَجْموعَةٍ مِنْ أَصْدِقائِهِ، فَقالَ بِصَوْتٍ عالٍ: أُريدُ أَنْ أَعْمَلَ مَعَكُمْ. ابْتَسَمَ أَنيسٌ لَهُ وَقالَ: أَهْلًا بِكَ يا رَبيعُ، هذا قَرارٌ رائِعٌ، لَكِنْ ما هُوَ سِرُّ تَغْييرِكَ رَأْيَكَ يا صَديقي؟ أَجابَهُ رَبيعٌ ضَاحِكًا وَهُوَ يَعْمَلُ بِجِدٍّ وَنَشَاطٍ: "إِنَّها تِلكَ السَّمَكَةُ".

ثَمَرَةُ النِّظامِ

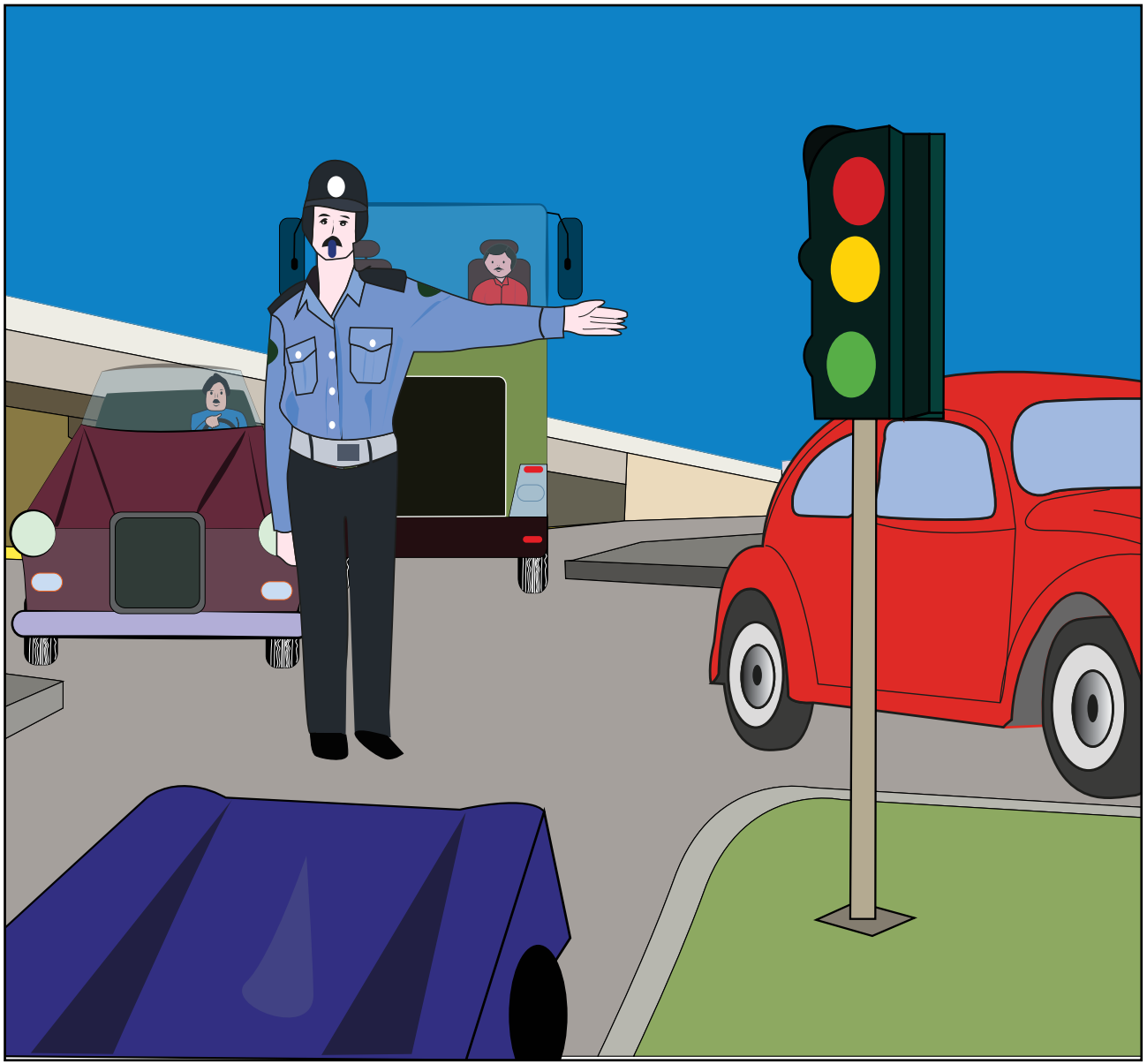

انْتَهى الْأَبُ مِنَ ارْتِداءِ مَلابِسِهِ وَنادى:

هَيّا يا راشِدُ، هَيّا يا سالي! لَقَدْ تَأَخَّرْنا وَالْمَسافَةُ طَويلَةٌ.

أَسْرَعَ راشِدُ وَسالي إِلى رُكوبِ السَّيّارَةِ، وَانْطَلَقوا جَميعًا مُتَوَجِّهينَ إِلى زِيارَةِ حَديقَةِ الْحَيواناتِ خارِجَ الْمَدينَةِ.

بَعْدَ أَنْ ساروا مَسافَةً قَصيرَةً تَوَقَّفَتِ السَّيّارَةُ خَلْفَ طابورٍ قَصيرٍ مِنَ السَّيّاراتِ، نَظَرَ زِيادٌ إِلى الْأَمامِ فَرَأى شُرْطِيَّ السَّيْرِ يُلَوِّحُ بِيَدَيْهِ بِحَرَكاتٍ مُعَيَّنَةٍ؛ فَيَسْتَجيبُ لَهُ السّائِقونَ بِالْحَرَكَةِ أَوِ التَّوَقُّفِ. أُعْجِبَ زِيادٌ بِما رَأى مِنَ انْضِباطِ السّائِقينَ وَاسْتِجابَتِهِم التّامَّةِ لِحَرَكاتِ يَدِ الشُّرْطِيِّ وَصَوْتِ صَفّارَتِهِ، وَقالَ مُخاطِبًا أَباهُ:

حينَ أَكْبَرُ يا أَبي، سَأُصْبِحُ مِثْلَ هذا الشُّرْطِيِّ، إِنَّني أُحِبُّ عَمَلَهُ.

ابْتَسَمَ الْأَبُ وَقالَ:

لَقَدْ غَيَّرْتَ مِهْنَتَكَ كَثيرًا يا راشِدُ خِلالَ الْمُدَّةِ الْماضِيَةِ، فَكُلَّما أَعْجَبَتْكَ مِهْنَةٌ تَقولُ: سَأُصْبِحُ مِثْلَ صاحِبِها.

في هذِهِ الْأَثْناءِ، تَحَرَّكَتِ السَّيّارَةُ وَتَجاوَزَتْ شُرْطِيَّ الْمُرورِ الَّذي ظَلَّ راشِدٌ

يَنْظُرُ إِلَيْهِ، حَتّى بَعْدَ أَنِ ابْتَعَدوا عَنْهُ. وَبَعْدَ مَسافَةٍ قَصيرَةٍ اقْتَرَبَتِ السَّيّارَةُ مِنْ إِشارَةٍ ضَوْئِيَّةٍ كانَ لَوْنُها أَخْضَرَ، لكِنَّهُ سُرْعانَ ما تَبَدَّلَ لِلْأَحْمَرِ قَبْلَ وُصولِهِمْ إِلَيْها، تَوَقَّفَتِ السَّيّارَةُ أَمامَها، وَتَحَرَّكَتْ سَيّاراتٌ مِنْ جِهَةِ الْيَمينِ.

مَضَتْ ثَواني الِانْتِظارِ أَمامَ الْإِشارَةِ الضَّوْئِيَّةِ بَطيئَةً جِدًّا، حَتّى تَخَيَّلَها راشِدٌ أَكْثَرَ مِنْ ساعَةٍ، ثُمَّ قالَ مُنْزَعِجًا:

هَيّا يا أَبي انْطَلِقْ، فَقَدْ تَوَقَّفَتِ السَّيّاراتُ عَنِ الْحَرَكَةِ، أَنا أَشْعُرُ بِالْمَلَلِ، كُلُّ إِشاراتِ الْمُرورِ مُزْعِجَةٌ.

تَدَخَّلَتْ سالي الَّتي لَمْ يُعْجِبْها كَلامُ زِيادٍ، وَقالَت:

غَريبٌ أَمْرُكَ يا راشِدُ، أَلَمْ تَكُنْ قَبْلَ قَليلٍ مُعْجَبًا بِعَمَلِ شُرْطِيِّ الْمُرورِ؟ وَماذا يَخْتَلِفُ عَمَلُ هذِهِ الْإِشارَةِ عَنْ عَمَلِهِ؟

فوجِئَ راشِدٌ بِالسُّؤالِ، وَكَأَنَّهُ لا يَعْرِفُ أَنَّ الشُّرْطِيَّ وَالْإِشارَةَ يُنَظِّمانِ مُرورَ السَّيّاراتِ؛ حَتّى يَتَمَكَّنَ الْجَميعُ مِنَ الْمُرورِ مِنْ دونِ وُقوعِ حَوادِثَ، ثُمَّ رَدَّ عَلى سالي قائِلًا:

عَمَلُ الشُّرْطِيِّ مُمْتِعٌ، أَمّا هذِهِ الْإِشارَةُ فَإِنَّني أَشْعُرُ أَنَّها تُؤَخِّرُ السَّيّاراتِ عَنِ الْحَرَكَةِ.

قالَ الْأَبُ:

إِنَّ سالي عَلى حَقٍّ يا زِيادُ، فَالْإِشارَةُ وَالشُّرْطِيُّ كِلاهُما مُهِمّانِ في تَنْظيمِ حَرَكَةِ السَّيّاراتِ وَتَسْهيلِها، وَمَنْعِ الْحَوادِثِ، وَلكِنَّكَ لَسْتَ صَبورًا.

صَمَتَ راشِدٌ مُتَظاهِرًا بِأَنَّهُ قَدِ اقْتَنَعَ بِكَلامِ أَبيهِ، وَلكِنَّهُ في الْحَقيقَةِ لَمْ يَكُنْ مُقْتَنِعًا، وَيَتَمَنّى أَنْ تُزالَ إِشاراتُ الْمُرورِ جَميعُها مِنَ الشَّوارِعِ.

وَبَعْدَ أَنْ ساروا مَسافَةً قَصيرَةً أُخْرى فوجِئوا بِطابورٍ طَويلٍ جِدًّا مِنَ السَّيّاراتِ تَقِفُ أَمامَهُمْ، فَقالَ زِيادٌ مُتَأَفِّفًا:

انْتِظارٌ مَرَّةً أُخْرى؟!

قالَتْ سالي:

يَبْدو أَنَّ هُناكَ حادِثًا مُروريًّا.

قالَ الْأَبُ مُحاوِلًا إِثْباتَ أَهَمِّيَّةِ إِشارَةِ الْمُرورِ:

رُبَّما تكونُ إِشارَةُ الْمُرورِ مُعَطَّلَةً.

قالَ راشِدٌ مُحاوِلًا الْمُشارَكَةَ في التَّوَقُّعاتِ:

أَوْ رُبَّما توجد أَعْمالُ حَفْرٍ وَتَرْميمٍ في الشّارِعِ.

كانَ شُعورُ راشِدٍ بِالضّيقِ شَديدًا، فَهُوَ لَمْ يَكَدْ يَنْتَهي مِنَ الْإِشارَةِ السّابِقَةِ حَتّى أَتاهُ تَأْخيرٌ جَديدٌ لَمْ يَكُنْ في الْحُسْبانِ، فَهُوَ مُشْتاقٌ جِدًّا لِرُؤْيَةِ الْحَيواناتِ، وَلكِنْ ماذا عَساهُ يَفْعَلُ، لَيْسَ أَمامَهُ إِلّا الِانْتِظارُ وَالتَّحَلّي بِالصَّبْرِ. وَما يَزيدُ الْأَمْرَ صُعوبَةً أَنَّ أَمامَهُمْ سَيّارَةً كَبيرَةً تَحْجُبُ عَنْهُمُ الرُّؤْيَةَ، فَلا يَسْتَطيعونَ مَعْرِفَةَ سَبَبِ تَوَقُّفِ السَّيّاراتِ.

تَحَرَّكَتِ السَّيّاراتُ بِبُطْءٍ شَديدٍ، حَتّى اقْتَرَبوا مِنْ تَقاطُعِ الطُّرُقِ، فَشاهَدوا أَضْواءَ سَيّارَةِ الْإِسْعافِ، فَعَرَفوا أَنَّ سَبَبَ الِازْدِحامِ حادِثٌ مُروريٌّ كَما تَوَقَّعَتْ سالي. اسْتَمَرَّتِ السَّيّاراتُ تَتَحَرَّكُ بِبُطْءٍ، ثُمَّ رَأى الْأَبُ شابًّا قادِمًا بِاتِّجاهِهِمْ، فَأَوْقَفَهُ وَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ الْحادِثِ، فَرَدَّ الشّابُّ قائِلًا:

عَبَرَتْ إِحْدى السَّيّاراتِ تَقاطُعَ الطُّرُقِ حينَ كانَتْ إِشارَةُ الْمُرورِ حَمْراءَ؛ ما أَدّى

إِلى اصْطِدامِها بِالسَّيّاراتِ الَّتي كانَتْ تَعْبُرُ عَنْ يَسارِها، وَقَدْ هُرِعَ رِجالُ شُرْطَةِ السَّيْرِ إِلى مكانِ الْحادِثِ مِنْ أَجلِ الاطمِئنانِ على سلامةِ الجميعِ وَإِعادَةِ النِّظامِ إِلى حَرَكَةِ الْمُرورِ.

شَعَرَ راشِدٌ بِالْيَأْسِ مِنَ الْوُصولِ إِلى حَديقَةِ الْحَيواناتِ، وَلكِنَّهُ أَدْرَكَ في نَفْسِهِ أَهَمِّيَّةَ إِشارَةِ الْمُرورِ في تَنْظيمِ حَرَكَةِ السَّيّاراتِ، وَخاطَبَ نَفْسَهُ قائِلًا: لَوِ الْتَزَمَ السّائِقُ الَّذي قَطَعَ الْإِشارَةَ الْحَمْراءَ بِالنِّظامِ، وَتَوَقَّفَ عِنْدَها لَما وَقَعَ التَّصادُمُ، وَتَأَذّى النّاسُ، وَحَصَلَ الِازْدِحامُ، وَتَعَطَّلَتِ الْحَرَكَةُ.

تَمَّتْ بِحَمْدِ اللّٰهِ تعالى